تعليقات ولفتات مهمة

حول مدرسة علماء السلطان في بلاد الحرمين

أبو مصعب السوري



مؤسسة النازعات
Annazi'at

ذو الحِجة
١٤٤٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تعليقات ولفتات مهمة

حول مدرسة علماء السلطان في بلاد الحرمين

أبو مصعب السوري

النازعات

ذو الحجة ١٤٤٧

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

من لوازم الدول الحديثة -ولا سيما في بلادنا- إيجاد «مركز» ديني يقوم -في أحوال كثيرة- مقام الشُّرَط؛ فالضبط «الروحي» لا يقلّ البتة عن الضبط الجسدي في بلاد يغلب على أهلها الإسلام. والإسلام دين لا يحتمل المشاركة؛ فحقه الهيمنة ولسلطانه أثر في نفوس أهله، ومهما قُيّد لا يلبث أن يظهر على غيره؛ ولذا كان لا بد من ضبطه وتوظيفه وإنشاء -أو تقوية- رموز تحمل همّ الدولة (ولاة الأمر، زعموا)، وتروج كلامهم وتسبغ عليهم كل فضيلة، وتخلع عليهم كل أوصاف الشرعية. والسعودية دولة رائدة في هذا الباب، أتقنته أيما إتقان، وجعلته في صالحها بكل مكر. فالصحوة فيها جاءت -عند التحقيق- بقرار حكومي[1]،

---

[1] ظهرت الصحوة بعد حدث اقتحام الحرم، لكن الأدق أن يقال أنّ المقالات الصحوية -إن صح التعبير- ولا سيما ما يتعلق بقضية التغريب قد انتشرت بين المتشرعة -على تفاوتهم- منذ الستينات بقدوم الخطاب الحركي مع المهجرين من ديارهم من الإسلاميين. وهنا أمر مهم ذكره عبد العزيز الخضر في كتابه «السعودية: سيرة دولة ومجتمع» وهو أنّ حادثة الحرم لم تغير مسار التاريخ المحلي في كل شيء، وإنما في ما يتعلق بالدين من جهة ما يمس حياة «المواطن» وفي زيادة الرقابة عليه «وليس الحكومة وسياستها العامة في الداخل والخارج. فلم يوقف أو يعطل أمر له أهمية استراتيجية تنموية أو اقتصادية أو سياسية، حتى ل كان العلماء يرفضون ذلك أو يحرمونه» (ص ٧١). فتركت الصحوة تعمل محليًّا في ضبط «المجتمع» بالفتاوى الاجتماعية، والتهويل من الحديث عن مخالفات الدولة تحت دعاوى غثة كثيرة، وبهذا ضُبط المجتمع وتسعوَدَت الفتوى.

لكنّ الإسلام -بما فيه من حق السلطان والحكم- أبى إلا أن تخرج الصحوة من أيدي الطواغيت؛ فافترقت في ذلك البلد فرقًا إلى أن تمايز الصف بدخول أعيان الصحوجيين في دين الملك وتدبيج البيانات حتى وصل الحال بأحدهم بكتابة رسالة إلى بوش يبشره أنهم حريصون على انتخابه ونصحوا الناس بذلك[1]، ثم التخذيل والإرجاف بالتوسط لتسليم المجاهدين وحثهم على تسليم أنفسهم، حتى خرج -نفسه صاحب الرسالة- يتبجح بذلك يومًا، واجتماعاته وصحبه المتكررة مع محمد بن نايف «لمواجهة الفئة الضالة»[2]. وبقيت سطوة «علماء» البلد التي أمدتها «الدولة الريعية» بأسباب الوجود وصنعتها على عينها حتى انتشرت في الآفاق ذات أثر في النفوس، بل حتى في نفوس محاربي الدولة تجد هذه السطوة. وقد أحسنت السعودية توظيف الدين وأهله. والدين في «الدولة الريعية» سبيل لزيادة الربح، يقوم عليه شيوخ محضَرون -علموا أم جهلوا- وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، وقد قدم وليجة الطواغيت للطواغيت ما لا يغطيه درس هنا

---

[1] قال سفر الحوالي في رسالته إلى بوش: «لقد حرصنا -نحن المسلمين- على انتخابكم ونحن نملك الأدلة على أنّ غالبية الأصوات المرجحة لفوزكم هي أصواتنا، وأنا شخصيًّا نصحتُ المسلمين بذلك، وكان بعضهم يأمل بأن تكونوا أقرب إلى العدل من الديمقراطيين... ولم نفعل ذلك نسيانًا منا لجرائم حزبكم ووالدكم في كل أرض إسلامية، ولكن لأننا أمة عدل وعقل ألجمنا مشاعرنا واخترنا ما رأيناه الأفضل لنا ولأمريكا أيضًا». انظر: «خطاب مفتوح إلى بوش».

[2] انظر: «الأمير محمد بن نايف يؤكد على دور العلماء في دحر الفكر الضال ويطالب باستمرار المكافحة الفكرية حتى يُقضى على الإرهاب».

ومحاضرة هناك يعقدها تحت ظل الطاغوت فيقال لنا: «ها هو ينشر الخير»، والحق أنه نفخ الروح في دولة الطاغوت ومدها بسبب ديني يروج على العامة والخاصة تحت دعاوى مسمومية لحوم العلماء، وأنهم زهاد وينفقون على طلبة العلم (نعم، نفسهم طلبة العلم الذين يخرجون يكملون المسيرة المشرّفة في نصرة الطاغوت)[1].

بل كان كبير سدنة الدولة السعودية -بحسن نية وحب للخير قطعًا- يحرك الشباب المجاهد من ثغر إلى ثغر -بإيعاز من الدولة- فكان يفسد كثيرًا. نقله أبو مصعب في «الجهاد هو الحل»، و«شرح كتاب حرب المستضعفين».

وهذه «المدرسة» -بتعبير أبي مصعب- أكثر مدارس علماء السوء حضورًا، وليس الشأن ضغينة خاصة بعلماء آل سعود -كما يقول أبو مصعب- إذ «ما في مشكلة بين ابن عثيمين وبين أمي»[2]، ولكن للأسباب التي ذكرت آنفًا من انتشارها في الآفاق وإمداد الدولة السعودية لها، حتى «اعتاد الشباب المجاهد على قبول التعريض والنقد في أولئك [علماء السلاطين في الشام ومصر والمغرب]،

---

[1] عن ابن شوذب قال: «قال ابن شوذب: قسمَ أمير البصرة على قرائها، فبعث إلى مالك بن دينار، فأخذ، فقال له ابن واسع: قبلتَ جوائزهم؟ قال: سل جلسائي. قالوا: يا أبا بكر، اشترى بها رقيقًا، فأعتقهم. قال: أنشدك الله، أقلبُك الساعة له على ما كان عليه؟ قال: اللهم لا. إنما مالك حمار، إنما يعبد الله مثل محمد بن واسع». سير أعلام النبلاء (٦/١٢٠).

[2] أبو مصعب السوري، **شرح كتاب حرب المستضعفين** (ص ٢٤٠).

وما وقفوا مشدوهين إلا أمام عصمة علماء الجزيرة وكبرائهم»[1]، ولذلك كانت فتنتهم أشد وأكبر، وهي ما زالت إلى اليوم، واتخذت صورًا جديدة وأعيانًا جددًا يحملون راية الضلالة لكن قد يختلف الطاغوت بحسب المصلحة والمعيشة؛ فترى اليوم مَن يروج للطاغوت التركي لأنه آواهم (وكأنه لم يوظفهم أو في أقل حال يضعهم تحت العين والمراقبة والضبط)، وآخر للطاغوت القطري، وآخرون للطواغيت جميعًا، والقواعد الأمريكية في كل تلك البلاد (مع المسيّرات التركية أحيانًا) ترصد وتقتل وتقصف (ربما لهذا قعدة تركيا لا ينصرون مجاهدي مالي ول بشق كلمة؟ كفى الله المجاهدين شر نصرتهم). «وإنّ المرء ليقف حقًّا في حيرة وذهول والتساؤلات تعصف بذهنه المرتبك؛ هل فعلًا تغيب كل هذه الأمور التي صارت عند عجائز البوادي من المُسلّمات عن هؤلاء، وقد تواترت أنباؤها وتواردت قصصها وغدا التحقق منها والوقوف عليها؛ لتصبح عين اليقين أيسر ما يكون، فلماذا هذا الإصرار على تبرئة هؤلاء المجرمين بالتنقيب عن حجج، والله لم تخطر لهم على بال، ولن يستطيعوا فهمها ولا فقهها، فضلاً عن الاعتماد عليها! ولماذا التمادي في إغماض الأعين عن جرائمهم السافرة الظاهرة المتضافرة والتي يكاد يكون إنكارها من قبيل السفسطة في القطعيات»[2]. حتى «وهنت

---

[1] انظر (ص ٢٨).

[2] أبو يحيى الليبي، **الأعمال الكاملة؛ توحيد آل سعود وتوحيد الحق** (١٩٦٤/٣).

حقائق العلم في نفوس المتزيين بالعلم وجعلهم يتماهون مع السلطان القاهر الممكن، فدخلوا فيه وصاروا جزءًا منه... وما نراه اليوم من دخول الوظائف الدينية من مفتين وقضاة وأئمة مساجد وخطباء ووعاظ بل علماء شريعة يدرسون في الجامعات المعاصرة إنما هو مرض حقيقي وطامة عظيمة حتى لو كان في دولة إسلامية شرعية فكيف لو كان الأمر ما نراه اليوم من خضوعهم بسلطان الطواغيت. وهناك طامة أخرى وقع فيها هؤلاء القوم هي عدم التفريق بين الدعوة والدولة، ففي اعتقاد أهل السنة –وهو الحق– أنه لا يوجد دولة في تاريخ الإسلام هي نموذج العلم إلا الدولة الراشدة من الخلفاء الأربعة المهديين، وأما مَن بعدهم فهم سلاطين مسلمون فيهم خير عظيم وفيهم شر كذلك، فلا تصلح الدولة في تاريخ الإسلام نموذجًا للاقتداء العلمي، بل هي كيان سياسي قاهر، وضرورة بشرية وشرعية، لكن حين دخل هؤلاء «العلماء» في داخل الدولة، ولضرورة نفسيةٍ شخصيةٍ فقط، صارت الدول هذه في نظرهم نموذجًا للعلم والاقتداء، يدافَع عنها كما يدافَع عن الحق في نفسه، أي يُرد عنها حتى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكل فعل شرعي تجاهها يعادل في نفوسهم أي فعل ضد الكتاب والسنة. فلا عجب أن تسمى الحكومات والدول لهؤلاء العلماء بدول

التوحيد ودول السنة، ومهما وقعت المعاصي منها حتى لو كانت أفعال الردة والكفر»[1].

ولأنّ هذه اللوثة المسعودة مستمرة في النفوس، وتخرج على فلتات الألسنة، ارتأينا نشر هذا الجزء الذي ذيّل به الشيخ أبو مصعب السوري تقبله الله تعليقه على رسائل الشيخ ابن لادن وسعد الفقيه الموسوم بـ«شهادة قادة المجاهدين ورؤوس الإصلاح والمعارضة في بلاد الحرمين على علماء السلطان في بلادهم المسماة سعودية»، لِما فيه من بيان لقواعد ما سماه «مدرسة علماء السلطان في بلاد الحرمين» التي -نعيد مرة أخرى- امتد أثرها بحكم «الدولة الريعية»؛ إذ بما عندها من موارد تصطنع الموالين وتوظفهم (دون علم منهم). ومفاسد «المدرسة» تمتد لغيرها من صور المتشرعة، وإن باينتهم في المكان والطريقة وربما جملة المنهج. «فالحديث على نهج ما زال متبعًا، وفتاوى ما زال يعتمد عليها، ومدرسة متكاملة»[2]. وقد أثبتنا إهداءه ومقدمته بين يدي التذييل لمناسبتهما.

والله نسأل بأمحض طوية أن ينتقم من علماء السوء وأنصارهم، وأن يجزي أبا مصعب عنا خيرًا.

النازعات

---

[1] أبو قتادة، **درك الهدى في اتباع الفتى** (ص ٢١-٢٢).

[2] انظر (ص ٢٨).

إهداء

أولًا:

إلى كل السائرين في القافلة المباركة، قافلة الغرباء الظاهرين على الحق، لا يضرهم مَن خذلهم ولا مَن خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك.

إلى كل الذين انضموا إلى قائمة ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٣٩﴾ [الأحزاب: ٣٩]، لنشدّ على أيديهم، ونربطَ على قلوبهم، ونسأل الله لنا ولهم الثبات والإخلاص، وأن يهدينا إلى الرشد ويجنبنا الزلل، ويجعلنا للمتقين إمامًا.

إلى كل دعاة وعلماء وقادة الصحوة المباركة في جزيرة العرب، أولئك الذين سمعنا بهم وأحببناهم، رأيناهم أو لم نرهم. سائلين المولى ﷻ أن يحفظهم، ويربط على قلوبهم، ويجمعنا وإياهم في مستقر دار رحمته في الآخرة، وعلى نصرة دينه في هذه الدنيا.

ثانيًا:

إلى كل أولئك الذين سجلوا أسماءهم في سجلات بلعام بن باعوراء وأحمد بن أبي دؤاد، وأسلافهم من علماء السلاطين. وإلى كل أولئك الذين آتاهم الله آياته فانسلخوا منها فأتبعهم الشيطان فكانوا من الغاوين، فأخلدوا إلى الأرض واتبعوا أهواءهم؛ فكان مثلهم ما ذكر الله تعالى، فراحوا يلهثون على أبواب سلاطينهم

وأسياد سلاطينهم، من أهل الصليب وإخوان القردة والخنازير، ومَن لعن الله من أهل الردة والضلالة، ليبيّضوا وجوههم ويضفوا عليهم لباس الشرعية، ويعبّدوا لهم الناس.

لنقول لهم: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

ثالثًا:

إلى أولئك الذين نصّبوا أنفسهم محامين عن الخونة، ومخاصمين عن الذين يختانون أنفسهم، ويخونون دينهم وميراث نبيهم وقضايا أمتهم، لنعظهم بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥﴾ [النساء: ١٠٥]، ولنهديهم قول حبيبه المصطفى: «**المَرْءُ مع مَن أحَبَّ**»[١]، لعل في ذلك ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

أبو مصعب السوري

[١] البخاري (٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٤٠).

مُقَدِّمَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين أهل الحمد والثناء، القائل في محكم تنزيله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي، القائل فداه أبي وأمي «**أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ رَهْبَةُ النَّاسِ، أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ، فَإِنَّهُ لَا يُقَرِّبُ مِنْ أَجَلٍ، وَلَا يُبَاعِدُ مِنْ رِزْقٍ، أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ أَوْ يُذَكِّرَ بِعَظِيمٍ**»[١]، وبعد:

فكما هو معلوم، فقد خاض التيار الجهادي المعاصر معارك كثيرة، منذ انطلقت راياته قبل نحو ثلاثة عقود ونصف لتصدّ عن هذا الدين وأهله صائل الكفار والمرتدين والمنافقين، معارك خاضها هذا التيار المبارك في كل المجالات، العسكرية والإعلامية والاجتماعية والفكرية المنهجية.

والمتابع لمسار هذا التيار المبارك، والناظر إليه بعين الباحث المبصرة يرى أنّ معاركه في مجال الفكر والمنهج والإعلام على راية الشرعية لم تكن بأقل شراسة واشتعالًا من معاركه العسكرية.

---

[١] أحمد (١١٤٧٤).

ولقد كان للصراع في ميدان الفكر والمنهج لإثبات الحق وكسب راية الشرعية هذه، منازلاتُه وشهداؤه وجرحاه ومصابوه سواء بسواء كما كانت ميادين القتال، وعلى مر خمس وثلاثين سنة، ومنذ انطلق فكر هذا التيار المبارك، ما زال يكسب الساحة تلو الساحة والموقع تلو الموقع ولله الفضل والمنة.

وبعد جهد ولأي طويل استطاع التيار الجهادي بفضل ما فتح الله على علمائه وكتّابه، وخطبائه وأصحاب الأقلام فيه، ودعاته ورواده وجنوده، استطاع كسب معركة الشرعية أمام الطواغيت الحاكمين لبلاد المسلمين، واستطاع أن يثبت رغم ضخامة الحشد المعاكس، من علماء السلاطين وأجهزة إعلامه المحلية والعالمية المتعاونة، والتي استبسلت في الدفاع وفي حشد شياطين الإنس والجن، استطاع إثبات حقه، وصحة منهجه، وكسب المعركة إلى حد كبير، واستطاع هذا التيار المبارك إثبات ردة هذه الحكومات وكفرها، وولائها لليهود والنصارى، ووجوب وفرضية قتالها في معظم الساحات، اللهم إلا في بقاع محددة ما تزال قلاعٌ عاتية من علماء السلاطين ودعاة الضلالة ومؤسساتهم الرسمية وغير الرسمية، ينافحون ببسالة لإثبات العكس؛ إثبات شرعية المرتدين وصحة ولايتهم للأمر ووجوب طاعتهم، ومع ذلك يمكن القول أنّ المعركة قد كُسبت إلى حد كبير.

ولم تأتِ نهاية الثمانينات إلا توحيد الحاكمية راسخ مزدهر تقوم عليه حركات وتنظيمات ودعوة مجيدة مسيطرة.

وجاءت التسعينات، وجاءنا النظام العالمي الجديد، بإدارته الصليبية اليهودية، وبإدارة أمريكا وحلفائها الأوربيين وروسيا، ليعيد التحالف مع قوى الردة الحاكمة والمسيطرة في عالمنا العربي والإسلامي، ترتيب صفوفه من جديد كصائل متكامل زجّ بكامل أسلحته العسكرية والأمنية والدعائية والاقتصادية والفكرية في وجه الثلة المؤمنة المجاهدة، التي تولت الدفاع عن هذه الأمة ودينها.

وحتى يتكامل هذا الحلف النكد بين الكفار والصليبيين والمرتدين، ولكي يعزز مواقفه في وجه الشباب المجاهد، عرف أنّ بوابة كسب المعركة، هي في عزل هذه الثلة المؤمنة عن قاعدتها الشعبية وأمتها، وذلك من خلال كسب الشرعية لصالح حلف صائل الكفار والمرتدين، وبالتالي إثبات عدم شرعية الجهاد المسلح ضد هذا الحلف، وعدم ارتكازه لمبادئ الحق.

ولأنّ المعركة معركة مبادئ وأفكار، ومناهج وإثبات حق؛ أتقن الحلف النكد للكفار والمرتدين اختيار الوسيلة بعد أن حدد الهدف (المتمثل في إثبات شرعيتهم وإسقاط شرعيتنا أمام جماهير المسلمين والرأي العام)، فعاد لترميم قلاعه القديمة، ونبش فرسانه الأشاوس، واستطاع وإلى حد ما أن يعيد إلى الواجهة كتيبة علماء السلطان، مدعمة بمن انحرف من قيادات ما سمي بـ«الصحوة الإسلامية

المعاصرة»(*). وكان هدف الحلف إثبات خمس أساسات شرعية لعزل المجاهدين عن أمتهم، وتولى علماء السلاطين، وأساطين النفاق، في صف المسلمين إثباتها، وهي:

١- إثبات شرعية الحكام، وأنهم أولياء أمور، تجب طاعتهم، وتحرم معصيتهم، ولا يجوز بحال الخروج عليهم.

٢- إثبات شرعية وجود الاحتلال الغربي، ومؤسساته العسكرية والاقتصادية الاستعمارية، في بلاد المسلمين، باعتبارهم مستأمَنين من قِبل الحاكم، بصفة ضيوف أو مناصرين، أو قوى جاءت لمساعدتنا والدفاع عنا وتحقيق نهضتنا، ولا سيما في عقر دار الإسلام جزيرة العرب والمسلمين.

٣- إثبات شرعية وجود الاحتلال الإسرائيلي الصهيوني، في ثالث الحرمين وأولى القبلتين، بيت المقدس وأكناف بيت المقدس. وذلك من خلال الاعتراف بشرعية دعوى السلام مع اليهود، وبالتالي إضفاء الشرعية على مشاريع التطبيع

(*) قال الشيخ أبو مصعب: «ولكنّ الأنكى من الدور البشع الذي لعبه علماء السلطان إلى جانب حكومات الطواغيت والحملات الصليبية الثانية والثالثة، هو الدور المفاجئ الذي لعبه بعض الفاسدين من قيادات الصحوة الإسلامية. فإذا كان العلماء المنافقون قد لعبوا دور مفتي السوء إلى جانب السلطة، فقد دخل بعض قيادات الصحوة أولئك في السلطة ذاتها وصاروا من أركانها بدعوى المصلحة وفن الممكن».

انظر: «دعوة المقاومة الإسلامية العالمية» (ص ٦٣٢) [النازعات].

مع أحفاد القردة والخنازير، لا سيما واستنادًا للقاعدة الأولى، وهي أنّ المقدِم على السلام والتطبيع من طرف المسلمين هم أولياء أمور شرعيون.

٤- إثبات أنّ كل مَن تسول له نفسه من المسلمين وشبابهم المجاهد، التعرض بسوء لهذا الثالوث الخبيث (اليهود - الصليبيين - المرتدين)، فهو مفسد في الأرض ساع فيها بالفساد، خارج على أولياء الأمور، تكفيري خوارج، ليس من الإسلام في شيء، حكمهم في الدنيا أن يُقتّلوا أو يُصلّبوا أو تُقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنفَوا من الأرض، هذا في الدنيا، أما في الآخرة كما زعم كبار علماء «الإسلام الحكومي» -خاصة في الجزيرة والشام ومصر- فإنّ عقوبتهم ألا يراحوا رائحة الجنة.. كيف يراحونها وهم كلاب أهل النار! خوارج مفسدون في الأرض!

٥- أنّ مَن أراد الدعوة لدين الله وإقامة شرعه في الأرض، فعليه بالطرق السلمية أو ما أسموها «المشروعة»، مثل دخول برلمانات الطواغيت، ومشاركتهم الحكم بغير ما أنزل الله، أو ترك السياسة لقيصر، والتفرغ لدين لاهوتي يتكون من بعض العبادات والشعائر والآداب.

على هذه الجبهات الخمس، ركزت أجهزة إعلام المرتدين والكفار من يهود ونصارى، ورصوا جبهة علماء السلاطين، والمفسدين من بعض رموز الصحوة الإسلامية، الذين نكصوا على أعقابهم ونقضوا غزلهم من بعد قوة أنكاثًا[*].

وكما كان الحال، في جولة الصدامات الأولى في الستينات والسبعينات والثمانينات، حيث تولى إدارة معارك الفكر والمنهج والعقيدة لكسب راية الشرعية علماء وكتاب ودعاة ومجاهدون أشاوس، كان في طليعتهم أمثال **سيد قطب**، و**عبد القادر عودة**، و**عمر عبد الرحمن**، وإخوانهم من مصر، و**مروان حديد**، و**سعيد حوى**[١] من سورية الشام، و**مصطفى بو علي** من الجزائر، و**عبد الكريم**

---

[*] قال أبو مصعب السوري: «وليتق الله علماء الإسلام وقيادات الصحوة ودعاتها، ولا يكونوا أذيال رامسفيلد في «حرب الأفكار» التي أعلنها. ليكونوا طليعة الحملات الصليبية في مقاومة الجهاد والجهاديين من حيث علموا أو من حيث لا يعلمون. لقد فهم زعماء الصحوة الإسلامية اللعبة واستغلوها لصالحهم، وباع كثير –وما زالوا– دينهم بدنيا حكامهم، وآثروا السلامة والمكاسب باسم مصلحة الدعوة، وعند الله تجتمع الخصوم، يوم يضع الله الموازين القسط ليوم القيامة، ويصطف الكل بلا ألقاب ولا هيلمانات، ونرى حينها، فلينتظروا إنّا منتظرون!».

انظر: «مختصر شهادتي على الجزائر» (ص ٥٨) [النازعات].

[١] للشيخ سعيد حوى ﷀ كتابات جهادية ممتازة في فترة السبعينات، أهمها كتابه «خطوة للأمام على طريق الجهاد المبارك»، وكتب أخرى من سلسلته المشهورة «في البناء». ولكنه عانى من انتكاسة فكرية في الثمانينات وكتب بعض الكتب في نفس السلسلة، تتناقض مع تلك الروح الجهادية السابقة وكان من آخر كتاباته وأسوئها كتابه «هذه تجربتي وهذه شهادتي»، وتوفي بعده بقليل غفر الله لنا وله ولجميع المسلمين.

مطيع من المغرب، **وعلي الأزرق وصالح كركر** من تونس، **وأبو الأعلى المودودي** من شبه القارة الهندية وباكستان، وغيرهم في بلاد شتى من بلاد المسلمين. فإنّ على هذا التيار الجهادي المبارك اليوم، وعلى طليعته من العلماء والدعاة والكتّاب، وأصحاب الأقلام من خطباء وشعراء وأدباء، أن يؤدوا هذه الراية حقها وأن يحفظوا لذلك الإرث المقدس حقه، بمتابعة النزال في هذا الميدان، وأن يسلموا الراية لمن بعدهم خفاقة كما تسلموها عزيزة مجيدة.

فهذه المعركة اليوم ضد صائل اليهود والصليبيين والمرتدين وطلائعهم المنافقة، وأذنابهم من أعوان الفراعنة، هي معركة على الشرعية، أمام هذه الأمة، والمعركة اليوم هي معركة أمة الإسلام المحتلة المنكوبة من أقصاها إلى أقصاها، وليست معركة نخب من الشباب المجاهد المحدود العدد والعدة.

وإذا كانت مهمتنا تنحصر في إيقاظ مئات الملايين من المسلمين المخدَّرين وشبابهم، وهم عدة هذا الدين وأمل تلك الأمة في الدفاع، وهي المهمة الشريفة التي أمرنا الله تعالى بها، إضافة إلى تكليفنا بفريضة القتال بقوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ [النساء: ٨٤]، أي كل المسلمين؛ فإنّ علينا أن نتقن هذا العمل الذي تصدينا له كما قال ﷺ: «**إنَّ اللهَ يُحِبُّ إذا عَمِلَ**

أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتقِنَه»[1]، ومن تمام إتقان الجهاد ودعوته: سدُّ هذه الثغرة الشاغرة اليوم في الذب عن هذا الدين والدعوة لهذا الجهاد، وردّ شبهات المُبطِلين عنه، ودفع أدلة أحفاد «بلعام» من علماء السلاطين وفقهاء البنتاغون اليوم، أولئك الذين تستروا بحمل أسفار هذا الدين فوق ظهورهم، ثم لم يحملوها.

يجب أداء هذه الفريضة، ولا سيما وقد انكفأت كثير من الأقلام خوفًا من حملات التشويه العاتية، وانتكست كثير من الرموز الدعوية، فرارًا من زخم الهجمة المعاكسة. وتكممت كثير من أفواه الحق خوفًا وطمعًا، وراحت تتستر بشتى الأعذار الباهتة.. فكيف نسكت؟ كيف وقد سنها إمام أهل السنة الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ عندما قال: «أأنجو بنفسي وأضل هؤلاء»، «إذا تكلم الجاهل والعالم يسكت تقية فمتى يعرف الحق»، ولماذا السكوت اليوم!

أنسكت خوفًا مما سيتهموننا به وسيقولونه فينا؟ كيف وربنا من فوق سبع سماوات يخاطب حبيبه المصطفى ﷺ بتلك اللهجة الصارمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧]. ويواسيه لـمّا يتحمل من أذى القول، فيقول له تبارك وتعالى: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ﴾ [فصلت: ٤٣]، ويأمرنا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

[1] الجامع الصغير (١٨٥٥)، والبيهقي في «الشعب» (٤٩٢٩)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦٤٦٠)، وقال: «رواه أبو يعلى، وفيه مصعب بن ثابت وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة».

﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥]، ورسول الله ﷺ يأمرنا، فيما روي عنه: «**وَاشْهَدُوا عَلَى الْمُحْسِنِ بِأَنَّهُ مُحْسِنٌ، وَعَلَى الْمُسِيءِ بِأَنَّهُ مُسِيءٌ**»[1]، ويقول: «**أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ رَهْبَةُ النَّاسِ، أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ، فَإِنَّهُ لَا يُقَرِّبُ مِنْ أَجَلٍ، وَلَا يُبَاعِدُ مِنْ رِزْقٍ، أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ أَوْ يُذَكِّرَ بِعَظِيمٍ**».

هذه الأوامر، تتخصص وتتعين في حق مَن أوتوا العلم، الذين فرض الله عليهم البيان، وجعل عقوبة كتمانهم اللعنةَ عند الله وعند الخلائق، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ [البقرة: ١٥٩]، ويجعل توبتهم مشروطة بالبيان والإصلاح: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾ [البقرة: ١٦٠].

أَم نسكت من أجل عرَضٍ من الدنيا قليل، يُرضي الناس عنا حتى يجودوا علينا بفضلات إحسانهم كي نجاهد في سبيل الله؟ وأين نحن من الجهاد في سبيله إذن وقد كتمنا بعض دينه، وأصبحنا –لا سمح الله ومعاذ الله– شهود زور! وعلى أي شيء؟ على دينه وكتابه وحق عباده المؤمنين.. نعوذ بالله من الخذلان!

---

[1] مجمع الزوائد (٩٢٠١)، وقال: «رواه الطبراني في «الأوسط» عن شيخه محمد بن علي المروزي، وهو ضعيف».

أَم نسكت طمعًا في تكديس الأتباع الجهلة، من عبّاد الأحبار والرهبان، لنستكثر من هذا الغثاء مقابل ثمن باهظ ليس من حقنا أصلًا، نكتم عنهم جزءًا من دين الله، ونشطر لهم قسمًا من منهجنا، حتى يوافق أهواءهم!

فأين نحن من سيرة رسول الله ﷺ في الدعوة؟ ألم يُتهم بسبّ الآلهة وتسفيه الأحلام وشتم الآباء؟ إنّ هذا ليس من حق الداعية، كما بين وأجاد الأستاذ سيد قطب رحمه الله حين قال: «وحين يجمجم صاحب الدعوة ويتمتم، ولا يُبين عن الفارق الأساسي بين واقع الناس من الباطل، وبين ما يدعوهم إليه من الحق، وعن الفاصل بين حقه وباطلهم، حين يفعل صاحب الدعوة هذا، مراعاة للظروف والملابسات، وحذرًا من مواجهة الناس بواقعهم الذي يملأ عليهم حياتهم وأفكارهم وتصوراتهم، فإنه يكون قد خدعهم وآذاهم، لأنه لم يُعرّفهم حقيقة المطلوب منهم كله، وذلك فوق أنه يكون لم يُبلّغ ما كلّفه الله تبليغه، إنّ التلطف في دعوة الناس إلى الله ينبغي أن يكون في الأسلوب الذي يُبلّغ به الداعية، لا في الحقيقة التي يُبلّغهم إياها، إنّ الحقيقة يجب أن تُبلّغ كاملة، أما الأسلوب فيتبع المقتضيات القائمة، ويرتكز على قاعدة الحكمة والموعظة الحسنة. ولقد ينظر بعضنا اليوم فيرى أهل الكتاب هم أصحاب الكثرة العددية وأصحاب القوة المادية، وينظر فيرى أصحاب الوثنيات المختلفة يُعدون مئات الملايين في الأرض وهم أصحاب كلمة مسموعة في الشؤون الدولية، وينظر فيرى أصحاب المذاهب المادية ذوي أعداد ضخمة، وأصحاب قوة مدمرة، وينظر فيرى الذين يقولون أنهم

مسلمون ليسوا على شيء، لأنهم لا يقيمون كتاب الله المنزل إليهم، فيتعاظمه الأمر، فيستكثر أن يواجه هذه البشرية الضالة كلها بكلمة الحق الفاصلة، ويرى عدم الجدوى في أن يُبلّغ الجميع أنهم ليسوا على شيء، وأن يُبيّن لهم الدين الحق، وليس هذا هو الطريق. إنّ كلمة الحق في العقيدة لا ينبغي أن تجمجم، إنها يجب أن تبلغ كاملة فاصلة، وليقل مَن شاء من المعارضين كيف يشاء، وليفعل مَن شاء من أعدائها ما يفعل. والمطلوب هو عدم المهادنة في بيان كلمة الحق كاملة في العقيدة، وعدم اللقاء في منتصف الطريق في الحقيقة ذاتها، فالحقيقة الاعتقادية ليست فيها أنصاف حلول»[1].

وعلى جهة المواجهة العويصة الحامية هذه، رأيتُ أن أقف مع القلة التي تقف سدًّا للثغرة التي كان حريًا بكثير من الأخيار أن يكفونا سدّها، وهذا من فضل الله على كل حال يؤتيه مَن يشاء، نسأله أن نكون أهلًا لفضله.

وكما هو متوقع ومعروف، فقد أصبح كل واقف على ثغرة التصدي لعلماء السلطان –والفقير إليه تعالى منهم– هدفًا للرمي بكل أنواع التهم والبهتان، وهدفًا للتشويه والحصار وصد الناس عنا.

---

[1] في ظلال القرآن، بتصرف. وانظر: «طريق الدعوة في ظلال القرآن».

والحمد لله فما تزال الهمة سامقة، والعزيمة وافرة، واستمداد المدد من المولى تبارك وتعالى نهجًا وأساسًا، مما يزيدنا إصرارًا وبسالة، في الوقوف إلى جانب ما يسّر الله من الجهاد؛ موقف جهاد البينة المتعين على أهله ممن علم.

واليوم وأنا أعدّ كتابًا بعنوان «الفرقان بين علماء الرحمن وعلماء السلطان»(*)، وأجمع له الوثائق والدلائل، عثرت على كثير من الأدلة والوثائق، من آيات الله تبارك وتعالى، وأقوال أئمة المفسرين فيها، وعلى نصوص من سنة وسيرة المصطفى ﷺ، وشروح شرّاح السنة لها، ومن قصص عطرة وسيرة مشرفة لسلفنا الصالح مع سلاطين أزمنتهم، ووثائق سوداء مظلمة من أرشيف ملف علماء السلاطين في

(*) لم يُنشر الكتاب، وفُقدت مادته كما قال الشيخ في «الدعوة»: «ولمّا جاءت أحداث «سبتمبر ٢٠٠١» وتذرعت بها أمريكا وزحفت على أفغانستان وأسقطت الإمارة الشرعية فيها ثم أطلق جورج بوش حملته الصليبية تحت شعار مكافحة الإرهاب. هَبَّ الهيكل المنافق من علماء المسلمين وكثيرون من قيادات الصحوة لينضموا إلى تلك الحملة بكل جدارة وإخلاص وتفاني. ويكفي كي يمتلئ القلب حزنًا والنفس كمدًا أن تتابع البرامج الدينية وخطب الجمعة في الفضائيات اليوم من المسجد الحرام إلى المسجد النبوي إلى المسجد الأزهر إلى كبريات المساجد في عواصم بلاد العرب والمسلمين لتشهد الدور الرائد الذي تؤديه المؤسسة الدينية الرسمية وما تقدمه من خدمات جليلة لأمريكا. حتى أصبح لبرامج مكافحة الإرهاب وصب جام الغضب والتضليل والتهمة بالانتماء للخوارج وعصابات الإجرام والمخدرات على كل مَن تسول له نفسه مقاومة أمريكا في غزوتها الصليبية ومقارعة حكام بلادنا المرتدين الذين يقودون طلائع حملتها، ولا يتسع المكان للشواهد هنا، وقد جمعت كثيرًا منها مع مسودات بحث كنت أُعدّه قبل سقوط كابل وكان بعنوان «الفرقان بين علماء الرحمن وعلماء السلطان» ونماذجهم منذ علماء بني أمية إلى فقهاء البنتاغون اليوم. وأسأل الله أن يعينني على جمعه مرة أخرى وإخراجه» (ص ٦٣٣). [النازعات].

هذا الزمان، وقصص نفاقهم لحكامهم وأسياد حكامهم، وفيما جمعت من وثائق عثرتُ على بعض الشهادات الحية والموثقة، من مواقف علماء ودعاة ورموز إصلاح وقيادات مجاهدة معروفة، ليست ولله الحمد محل تهمة أو اختلاف، تكلموا وقاموا بحق الله في دفع ضلالات علماء السلاطين هؤلاء، والتعريض بها وبهم وخاطبوهم بما هم أهله بالصدق والصراحة.

وبعض هذه الوثائق والشهادات وللأسف، هي روايات موثوقة وصلتنا من بعض الشباب المجاهد إلى هنا في أفغانستان، منقولة عن علماء كبار من رموز الصحوة في الجزيرة وبلاد الحرمين، التي أسماها الإنكليز «سعودية». حيث دهشنا من صراحة تلك الآراء التي قالها هؤلاء العلماء والدعاة في علماء السلاطين وكبار رموزهم، من «هيئة كبار العلماء» وغيرها، كما دهشنا من إصرار هؤلاء العلماء والأخيار، على إسرار آرائهم هذه رغم ضرورتها وحيرة الشباب وتشوقهم إلى إعلانها. ولأنّ هؤلاء الطيبين أسرّوا آراءهم وجعلوها في دائرة الخاصة، فإننا نحترم صمتهم هذا رغم اختلافنا معهم في جدوى هذا الأسلوب واعتباره من التقصير، ونسأل الله أن يشد أزرهم ويشدوا أزرنا وأزر المجاهدين والعاملين في سبيله. نحترم صمتهم ولا نذكر أسماءهم وآراءهم، ولكن تحت يدي بعض الرسائل العلنية المكتوبة والشهادات الحية البالغة الأهمية، في واحدة من أهم ساحات الصراع مع علماء السلاطين، المدافعين عن حكامهم المرتدين ومصالح أوليائهم من اليهود والصليبيين المحتلين، وهي بلاد الحرمين، جزيرة العرب والمسلمين.

هذه الوثائق هي:

أولًا: مجموعة من الرسائل والبيانات، كتبها الشيخ المجاهد **أسامة بن لادن** حفظه الله المهاجر والمرابط في أفغانستان.

ثانيًا: مجموعة رسائل كتبها الدكتور **سعد الفقيه** حفظه الله أحد رموز الإصلاح والمعارضة في «السعودية»، والذي يُصدر بياناته باسم «الحركة الإسلامية للإصلاح» من ملجئه في لندن.

وسأسجل هذه الرسائل بالتسلسل بنصها الحرفي الكامل، ثم ألفتُ النظر وأركز على بعض النقاط الهامة من الأفكار الواردة في تلك الرسائل، ثم أعلق عليها تعليقًا موجزًا.

هذه الرسائل موجهة أساسًا لرئيس «هيئة كبار العلماء» في السعودية سابقًا الشيخ **عبد العزيز بن باز**، ولمن في حكمه من العلماء الرسميين في الجزيرة بصورة عامة.

وإحدى هذه الرسائل موجهة للشيخ **ابن عثيمين**، ومَن في حكمه أيضًا، كتبها الدكتور سعد الفقيه.

وقد اخترت أن أنشر هذه الوثائق وحدها قبل إنجاز الكتاب المشار إليه، لأهميتها ولسخونة القضية هذه الأيام في أوساط الشباب المجاهد في أفغانستان، وخشية أن يتأخر صدور الكتاب الذي سأتخير فيه جزءًا من تلك الوثائق فقط،

وبهذا لا تفوت فائدة نشرها كاملة لأهميتها، وأشير وأنا أستشهد بهذه الوثائق وأسلط عليها الضوء إلا أنني سأنشرها مقروءة في شريط مسجل إن شاء الله.

وقبل أن أشرع بنقلها أشير إلى نقاط مهمة:

أولًا: أني قد اخترتُ هذه الوثائق لشاهدين من رؤوس الجهاد والإصلاح والمعارضة، من أهل الجزيرة وبلاد الحرمين أو ما سمي «السعودية»، وذلك لأثبت لمن يجهل ذلك أنّ الفقير إليه تعالى ليس وحده في ميدان تبني هذا الرأي، الذي ذهبتُ إليه، في مواجهة علماء السلاطين؛ طليعة صائل اليهود والصليبيين. حيث يحاول بعض المغرضين وصمنا بهذه القضية وكأننا تفردنا بها، ولأثبت أنّ هذا الصف المبارك الذي نقف فيه موقف البيان بشجاعة ووضوح، فيه كثير من علماء وطلاب علم وقادة جهاد وصحوة، يقفون نفس الموقف المشرف. وحتى لا يقال أنهم من أهل الشام أو مصر أو شمال أفريقيا، حيث أفاض علماء ودعاة ومجاهدو الشام ومصر وشمال أفريقيا في الرد لعلماء السلاطين هؤلاء وغيرهم.

فأنا هنا لا أنقل –مثلًا– رسالة المجاهد الدكتور **أيمن الظواهري**، شيخ جماعة «الجهاد»، حين أرسل للشيخ ابن باز رسالة مفتوحة، بنشرة «المجاهدين» الصادرة عن جماعة «الجهاد» افتتحها بقوله: «الشيخ ابن باز، لا سلام الله عليك ولا رحمته ولا بركاته»، وذلك في الرد عليه لإباحته الصلح مع اليهود. ولا رسائل الشيخ **علي الفقير** من الأردن، ولا الشيخ **الفزازي** من المغرب. ولا **علي بلحاج**

و**عباسي مدني** من الجزائر، ولا أقوالنا من بين أهل الشام فيهم. ننقل هنا هذه الشهادة الميدانية، من أهل البلد ذاته لعلها تقنع بعض المكابرين، الذين نصّبوا أنفسهم محامين ومجادلين عن الذين يختانون أنفسهم، فلعلهم لم يسمعوا، أو سمعوا ولم يفهموا، أو ربما فهموا ولم يستجيبوا لأمر ربهم تبارك وتعالى وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: ١١٣]. صدق الله العظيم. سبحان الله، هل هذه الآيات تحتاج إلى تفسير! سبحان الله القائل تبارك وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].

ثانيًا: أنّ هذه الوثائق المسجلة بيد الشيخ أسامة بن لادن أو الدكتور الفقيه، وكلاهما كما هو معروف من أهل الجزيرة، قد احتوت كل المطلوب، من أدلة الإثبات والإدانة على علماء السلاطين في الجزيرة، واحتوت كل المطلوب من الإشارة لألوان الضلالة والخيانة التي تلبّسوا بها، وقد سمعنا مشافهة من الشيخ أسامة ومن الدكتور سعد وغيرهما من أعلام الإصلاح والدعوة والجهاد، من أهل الجزيرة، لهجة أشد وشواهد عجيبة نعرض عن سردها هنا حتى لا ندخل في مزايدات الإثبات والنفي[1]، فهذه وثائق مكتوبة معلنة فيها ما يكفي.

ثالثًا: سيسأل سائل: لم تناول الشيخ ابن باز وابن عثيمين؟ وقد لقيا ربهما، وأفضيا إلى ما قدّما، ولم نبشُ ماضيهما الآن؟

---

[1] ينقل كثير من الشباب وطلبة العلم والمجاهدون والوافدون إلى أفغانستان مؤخرًا قصصًا كثيرة تشفي الصدور وتثبت وجود أمثالنا على النهج، عن أسئلة سألوها الأعلام من العلماء والدعاة والمصلحين في الجزيرة، في أمر علماء السلاطين هناك، فأوضحوا لهم، وطلبوا منهم عدم إشاعة ذلك أو نقله عنهم.

- فأحد الأعلام الكبار من علماء الصحوة الذين سجنوا وأفرج عنهم، يقول لبعض هؤلاء الشباب عن فتاوى «هيئة كبار العلماء» في قضايا الولاء والبراء، ومواجهة الجهاد، ونفاق الحكومة «هذه أعمال ردة» ولكن نتأول لهم أعذارًا.

- وأحد أكبر أعلام الدعوة والجهاد من الجزيرة يقول عن ابن باز في مجلس خاص في أفغانستان: «صار ابن باز طاغوتًا يُعبد من دون الله؛ يحلل ويحرم ويطاع».

- وثالث سأل أحد أكبر وأشهر علماء الجزيرة: هل ارتدت «هيئة كبار العلماء؟» فضحك الشيخ ولم ينكر بل قال: «ليس هكذا، هم مجموعة حمقى جمعتهم الحكومة في هذه اللجنة»...إلخ من الشواهد الكثيرة.

والجواب على ذلك من وجوه:

-كان الشيخان ابن باز وابن عثيمين أفضل أقرانهما من علماء السلاطين، علمًا ودينًا وخلقًا ودعوة وسمعة. فإذا كان الخطاب يوجه لهما بهذا الشكل، فهو يَعُمّ مَن كان دونهما من أصحاب هذه المدرسة من باب أولى.

- لسنا في حديث شخصي عن رجل مسلم توفي ولقي ربه، حتى يكون الأصل «**اذْكُرُوا مَحَاسِنَ مَوْتَاكُمْ**»[١]، بل حديثنا على نهج ما زال متبعًا، وفتاوى ما زال يعتمد عليها، ومدرسة متكاملة، كان الرجلان رأسها وسندها.

- لا يتخيل أحد أنّ لدينا ضغينة خاصة بعلماء الجزيرة، وأننا نبرئ علماء السلاطين الخونة في بلاد أخرى. كشيخ الأزهر وزمرته في مصر، والدكتور **البوطي** وأشكاله في الشام، وعلماء المغرب الرسميين وسواهم. لا، بل رأينا في كل هذه المدرسة سواء، ولكن اعتاد الشباب المجاهد على قبول التعريض والنقد في أولئك، وما وقفوا مشدوهين إلا أمام عصمة علماء الجزيرة وكبرائهم هؤلاء! فإذا كان حديثنا عن هؤلاء كما نبينه، فهو على الآخرين من باب الأولى والمساواة، ونهجنا في هذا معروف بيّن، والحمد لله[*].

---

[١] أبو داود (٤٩٠٠)، والترمذي (١٠١٩).

[*] قال أبو مصعب السوري: «بعض الجماعات الجهادية ارتكبوا خطأ كبيرًا جدًّا، أدركوه وحدثونا به: أنهم نتيجة أن رأوا الحركة الجهادية فيها فقر في العلماء وطلبة العلم قالوا الحل أن نأخذ جزءًا من تلاميذنا وطلابنا ونرسلهم إلى المشايخ يطلبون العلم، فأرسلت دفعة من بعض شباب الجماعات

تعليقات ولفتات مهمة

حول مدرسة علماء السلطان في بلاد الحرمين

والآن أسجل الملاحظات والتعليقات التي أريد إيضاحها، في جملة من النقاط إيجازًا قبل أن أختم البحث مستعينًا بالله تعالى:

أولًا: كما قلت، سيستنكر البعض الحديث في ابن باز وابن عثيمين، وقد لقيا الله تعالى بأعمالهما وأفضيا إلى ما قدّما، وإضافة إلى ما ذكرت في المقدمة، أذكر هنا بعض الأسباب الهامة:

١- أنّ هذين الشيخين أصبحا مدرسة ومتكأ لعلماء السلطان في الجزيرة وغيرها، هذا في حياتهما وتكرس هذا المنهج بعد موتهما، حيث يقال في كل مكان من قِبل علماء السلطان وأذيالهم وسيقال: «كما أفتى بن باز»، و«كما

الجهادية إلى علماء الجزيرة، فكلهم بلا استثناء مُسخوا وصاروا مثل المشايخ الذين أرسلوا إليهم ولم يعودوا إلى جماعاتهم. يعني أُرسل يرضع الحديث من المصدر الذي يسمم الأمة كلها. وحدَّثوني عن شخص أعرفه وكنت أؤمل عليه آمالاً عظيمة جدًّا، قلت لهم: «أيش أخباره؟»، قالوا لي: «راح يطلب العلم عند ابن عثيمين»، وقال الشاب: «الحمد لله الذي جاء بي إلى هنا، اكتشفت أني كنت على وشك أصير خوارج وتكفير». وراح وصار هناك مع الطرف الآخر، مع شوارزكوف!».
انظر: «شرح كتاب حرب المستضعفين» (ص ٥٩٦). [النازعات].

أفتى ابن عثيمين»؛ فيجب تبيان أنّ ذلك المنهج كان باطلًا، وأنهما كانا في هذا الباب رأس ضلالة وخيانة وليسا قدوة تحتذى، ولا سندًا يُرجع إليه(*).

٢- أنّ منهج أهل السنة في الجرح والتعديل والذكر هو لكل مَن ذاع صيته وصار رأسًا يتبع حيًّا وميتًا، بل إنّ أهل الجزيرة ومدرستهم أساتذة في هذا، فهم الذين يتحدثون حتى في أبي حنيفة والشافعي وغيرهم من الأئمة ﷾، ويعتبرون ذلك دينًا أن يقولوا مثل هذا فيمن لا يبلغون عشر معشارهم من أمثال هؤلاء، وما رأيتُ أحدًا أنكر ذكر أحمد بن أبي دؤاد مثلًا، أو طالب الناس بالترحم عليه وتركِ مثالبه وذكر مناقبه.

٣- إنّ ابن باز وابن عثيمين، هما من أفضل مَن يأتي في قائمة علماء السلطان، من حيث العلم والسلوك والعبادة والزهد (كما نقل عنهم الكثيرون والله أعلم)، فإذا قلنا هذا في حقهما، كان فيمن دونهما من باب الأولى.

٤- إنّ معظم الشباب في الصحوة إذا تجرأ على علماء السلطان في أي مكان من بلاد الدنيا، وقف حائرًا مذهولًا منكفئًا أمام هؤلاء.

(*) قال أبو مصعب السوري: «ابن باز وابن عثيمين هناك [في الجزيرة] يقومون بأعمال المنافقين، وينصرون ملكًا كافرًا ويدعون إلى بيع بلاد المسلمين، ويدعون للتطبيع مع اليهود، ويدعون إلى وجود اليهود والنصارى في الجزيرة، ويسمون قاتلهم مُفسدًا في الأرض ويجب أن يُطبق عليه حد الحرابة. فهذا من أعظم الإجرام، هذا من مرتبة أعلى من الذين يكتمون ما أنزل الله من اليهود».

انظر: «إدارة وتنظيم حرب العصابات» (ص ١٢١) [النازعات].

ثانيًا: أنبه إلى أنّ أحد وجوه ضرورة الحديث في أعمدة مدرسة علماء السلطان هؤلاء، هو منزلة القداسة التي وصلوا إليها لأسباب كثيرة، منها: ما قامت به أجهزة إعلام الطواغيت أنفسهم، ومنها ما قام به كثير من الدعاة الطيبين، الذين بالغوا في المديح، ومنها فراغ الساحة من علماء عاملين.. إلى آخر الأسباب. ولكنّ المستوى صار خطيرًا وعلى ذلك أمثلة كثيرة منها ما عشناه شخصيًّا ومن ذلك:

- كتب أحد القادمين إلى أفغانستان، وكان مرابطًا في خط كابل وللأسف، إلى أحد مَن عُرفوا بالتصدي لقضية العلماء، فأرسل له رسالة سماها «نصيحة كي يرعوي»، بزعمه عن تناول العلماء، والشاهد أنه قال في ثناياها: «نحن أبناء الجزيرة نحب علماءنا ونعتقد أنّ حذاء الشيخ ابن باز الخاصة بالخلاء أطهر من قراب الأرض من مخالفيه»!! وهل درى هذا المسكين مَن يأتي في قائمة مخالفيه؟ ذكرتُ هذا الأمر لأمير الخط، ونصحته أن يتلافوا هذا الخلل، فشيخهم من مخالفيه، والشيخ **سفر** و**سلمان** من مخالفيه، وكافة الدعاة والمصلحين في مخالفيه، بل كثير من العلماء مخالفين له في الفقه والرأي، بل الشيخ ابن عثيمين نفسه خالفه في كثير من المسائل، بل في واحدة من أخطر المسائل (كتكفير مقنني القوانين الوضعية ولو لم يستحلوا)، فهل حذاء شيخه المفتون، أطهر من كل هؤلاء؟ حاشا لله!

- كتبت جماعة «الجهاد» في عددها «٥٣» بتاريخ (حزيران/يونيو ١٩٩٩م) مقالة تناولت فيها بعض علماء السلطان، ومواقفهم مع أعداء الله من قبيل ما ورد في الوثائق الماضية، وبأسلوب لا يستأهله المذكورون أصلًا، ومع ذلك أخذها لفيف من شباب الجزيرة وبعض مَن يسمونهم طلاب علم من المرابطين في الخط للجهاد، وأحرقوها ورموها، وقال قائلهم: «نشرة كتبها زنادقة، زنادقة»، وخرج أحدهم وكتب عريضة علقها على مدخل الموقع كتب فيها: «رحم الله الإمام ابن باز إمام أهل السنة في هذا العصر». هذا بعض ما لمسناه من هؤلاء الأتباع المساكين هنا. أما في نفس بلاد الحرمين فالطامة كبيرة.

- حدثني بعض مَن درس في «الجامعة الإسلامية» بالمدينة المنورة، عن أحد رفاقه هناك أنه قال: «إنّ الإمام الشافعي ليبكي في قبره على كل درس فاته من دروس ابن باز أو الألباني»، سبحان الله يا عباد الله! ما هذا الهراء! فبصرف النظر عما في هذا القول من الطامات الشرعية العقدية، فشاهِدنا هو وزن ابن باز بالإمام الشافعي![1]

وخطورة هذه القداسة أنّ هؤلاء الأحبار والرهبان اليوم يسيرون في مصالح اليهود والنصارى والمرتدين.

---

[1] الشافعي هو الذي بقي الإمام أحمد يدعو له كل يوم عشر سنين، فسأله ابنه عبد الله عن ذلك، فقال أحمد: «يا بني الشافعي أنفع للناس من الشمس للدنيا».

ثالثًا: ألفت النظر إلى أنّ رؤوس الصحوة والدعوة في الجزيرة وبلاد الحرمين ومَن تبعهم في مذهب تقديس العلماء هذا مسؤولون مسؤولية كاملة عما وصل إليه شباب الصحوة وكثير من المجاهدين من تقديس العلماء وعبادة الأحبار والرهبان هناك وفي الخارج.

فهذا شيخ فاضل من أعمدة الصحوة(*)، يقول في أحد أشرطته: «أقسم بالله أنّ ابن جبرين ولي من أولياء الله يمشي على الأرض»، وفي هذا ما فيه من مخالفة منهج السلف في مديح الأحياء مما لا يخفى على شيخنا الفاضل، والحي لا تؤمن عليه الفتنة. ويسجل شريطين بعنوان «نسمات الحجاز في فضائل ابن باز»، وفي مقدمة بعض كتبه في «الغربة» ينادينا: «إننا نقدم الإمام ابن باز كنموذج للعالم العامل.. رجلًا كالإمام ابن باز قضى أربعين عامًا علمًا وعملًا ودعوة وجهادًا».

وما أدري أين رأى ما لم نره.. علمًا؟ حسنًا.. عملًا؟ حسنًا.. دعوة وجهادًا؟ أين هذا؟ دعوة إلى ماذا؟ لغزو أهل الصليب والتطبيع؟ أما الجهاد فلم نره جاهد إلا أهلَ الصحوة والجهاد! بل جاهد شيخنا الفاضلَ نفسَه وزجه في السجن!!

شيخ فاضل آخر، له مثل ذلك من ألقاب الأب الوالد والسماحة.. والجليل و... مع أنه لا وجه لهذا مع تعاظم الزلات.

(*) يريد سلمان العودة، ولو رأى ما آل إليه أمره لَما توقف كثيرًا عند أقواله هذه [النازعات].

شيخ ثالث كتب مقالة ومحاضرة: «لحوم العلماء مسمومة».. وجزاه الله خيرًا فقد روى لنا الثقات، أنه قال بعد خروجه من السجن: «ما ندمت على شيء كتبته ندمي على محاضرة لحوم العلماء مسمومة»، ولكن في رأيي، فإنّ هذا لا يكفي؛ إذ أنه لـمّا كتب محاضرته هذه، طارت في الآفاق وطبعت عشرات آلاف النسخ منها ووزعت مجانًا، ولـمّا ندم، مَن درى بندمه؟ يستطيع كل واحد نفي هذه الرواية! لماذا لا يكتبون الآن أنّ لحوم علماء السلطان أولئك كانت مسمومة فعلًا، من كثرة ما أكلوا من فتات السلاطين، وباعوا دينهم بدنياهم، وولغوا في لحوم وأعراض المجاهدين في سبيل الله.

غفر الله لمشايخنا العاملين هؤلاء، ونسأله تعالى لهم العزيمة والرشاد.

رابعًا: من أهداف بحثي هذا كما أسلفته هو أن أدفع عن نفسي تهمًا باطلة متعلقة بموضوع رأيي في العلماء، فمن متهم لي بالباطل أني أكفرهم ومن زاعم أني أشتمهم وأصفهم بما لا يجوز شرعًا، ومن زاعم بأني أقع في لحوم العلماء بغير حق[1]، فهذا البحث يبين سقوط كل ذلك، وأني لم أزد على ما قاله فيهم رؤوس

[1] حتى صار موضوع العلماء وسيلة يستخدمها مَن يريد قطع الطريق علينا وعلى دعوتنا، أن يبادر الشباب بتشويه سمعتنا بهذه الدعوى الباطلة، حتى بلغني أنّ بعض مَن يجهز الشباب للجهاد والإعداد من الجزيرة إلى أفغانستان صاروا يوصونهم بعدم لقائنا ولا السماع لنا، وأن لا يجاهدوا مع «الطالبان»!! ويحذرونهم من سماع آرائنا في العلماء! وفي كل ما ندعو إليه، بل من مجرد الزيارة!

الدعوة والجهاد والإصلاح من أهل ديرتهم، بل لم أبلغ ما قالوه فيهم كما ذكر في الوثائق التي أصدروها بأنفسهم.

الأمر الآخر أني في ثنايا بحثي هذا أدفع اعتقادًا خاطئًا لدى الكثيرين من أهل الدعوة والإصلاح والجهاد في الجزيرة، ورأيهم في علماء السوء وذلك يدفع شبهتين:

- فقد قال بعض الناس أنّ رؤوس الجهاد والإصلاح في الجزيرة -ومنهم الشيخ أسامة والفقيه- ورؤوس الدعوة والعلماء لا يرون ما نرى في هؤلاء العلماء، وبهذه الوثائق تبين خطأ ذلك ويتبين بجلاء رأيهم فيهم.

- وثمة بعض مَن قال وعاب على أهل الصحوة والدعوة والإصلاح والجهاد، من أمثال الشيخ أسامة والفقيه وغيرهم أنهم لم يتكلموا في باطل علماء السلطان في بلادهم، ويتضح في ثنايا هذا البحث عكس ذلك، فقد بينوا وأعلنوا صراحة على الملأ رأيهم ومواقفهم[١].

خامسًا: من الضروري جدًّا أن أثبت في هذه الملاحظات إبراء للذمة، بأني رغم كل قناعتي بأنّ هؤلاء العلماء أمثال ابن باز وابن عثيمين، قد خانوا الله ورسوله وأمانة العلم وخانوا الأمة، وأنهم مرتكبون لكبيرة من أعظم الكبائر وفسق

---

[١] وإن كنتُ أعتقدُ أنّ هذا الاعتقاد والبيان يحتاج لتركيز وشجاعة في النشر، واعتماده أسلوبًا للتربية والتوعية للأتباع.

من أشنع الفسوق، بل إنّ كثيرًا من فتاواهم ومواقفهم هي أعمال نفاق يصل بعضها لأن تكون عملًا من أعمال الكفر، كما نقل عن شيخ الصحوة في الجزيرة حفظه الله حيث قال: «هذه أعمال ردة ولكن نتأول لهم الأعذار».. إلى آخر ما أعلنت في أكثر من مجال، إلا أني ورغم ذلك لم أعتقد بكفرهم وخروجهم من ملة الإسلام مطلقًا ولا قلتُ ذلك، بل أعلنتُ خطأ مَن ذهب هذا المذهب في اعتقادي، ولقد رددتُ رأيهم، رغم أنّ فيمن يحمل هذا الرأي إخوة وطلاب علم ومجاهدون أخيار، وسبب عدم اعتقادي بكفرهم هو قناعتي -بعد أن سألت عددًا من أهل العلم بهذه المسألة- أنه يدفع عنهم حكم الكفر العيني، رغم ارتكابهم هذه الأعمال أمران، وأقصد عمن كان في مثل حال ابن باز وابن عثيمين من العلم والنسك والزهد والسيرة الحسنة، فيما سوى وقوفه مع حكام الردة وحلفائهم من اليهود والنصارى، يُدفع عنهم حكم الخروج من الملة أمران:

الأول: ثبوت قرائن الإيمان وصحة المعتقد، والدفع عنه وعن عقيدة أهل السنة، والبلاء فيها ونشرها ونشر العلم، والدعوة لدين الله، وحسن السيرة والعبادة، كما روي والله أعلم.

الثاني: وجود تأول لهم من أنّ ذلك لدفع الفتنة والمفسدة، وخشية اقتتال الناس وتبعات خروجهم على ولي الأمر وذهاب الأمن، فهذا التأول مع استصحاب تأخر الزمان، وشيوع الفتن وضعف أهل الحق والجهاد وغلبة أهل الباطل، وتيه

الصحوة بمدارسها المختلفة، وإن كان تأولًا فاسدًا، إلا أنه يدفع عنهم –حسب قناعتي بما قال مَن أثق به من أهل العلم وما توصلت إليه بما يسر الله– حكم الكفر، حسب مقاييس أهل السنة، وموانع التكفير عندهم. فهم عندي متأولون، ارتكبوا أعمال الكفر والنفاق، ولا يكفرون لهذا المانع وتلك القرينة والله أعلم.

رغم أني اقتنعت بما قاله لي أحد أبرز علماء الجهاد في هذا العصر، قال لي أنه لا يكفرهم لهذين السببين المانعين، ولا يعترض على مَن كفرهم بدليله لأنها أدلة قوية، لكنه رأى خطأ مَن كفرهم لعدم استصحاب هذه الموانع. وبهذا نكون –ولله الحمد– وسطًا في هذه المسألة، بين مَن قدسهم وبين مَن كفرهم، فلسنا من هؤلاء ولا من أولئك، وقد بسطنا قناعتنا بما يكفي للإيضاح والحمد لله.

سادسًا: أنبه الشباب المجاهد من إخواني، بعد ذكر رأيي في موضوع التكفير لأمثال هؤلاء، إلى أنه ربما كان في علماء السلطان، مَن لا توجد لديه تلك القرائن الحسنة والتأولات ذات الوجه، ممن قد يبدو أنهم يحكم لهم بالكفر، إلا أني أنبه جدًّا لسد هذا الباب، وتجنب هذا المنزلق لأوجه عديدة، فأولًا لا يمكن إطلاق حكم كفر المعين حسب ما فهمت من أقوال أهل العلم، إلا بعد إقامة حجة وتبين أحوال وإسقاط تأولات. وهذا لا يكون إلا لقادر على ذلك، ولمن كان في مرتبة القضاء في مثل هذه المسائل، ولا أعتقد أنّا في هذه المنزلة والحال، هذا من جهة. **أما إبراز شناعة العمل وكونه نفاق وضلالة وموالاة لأعداء الله،**

ومداهنة للسلطان، فهذا واقع أصبح يراه الأعمى ويسمعه الأصم، ولا مجادلة فيه. وما يهمنا هو إسقاط شرعية هؤلاء العلماء العملاء، وصولًا لإسقاط شرعية حكامهم ومنابذتهم، ومنابذة أوليائهم المحتلين من اليهود والنصارى بالسلاح، وليس من لوازم ذلك التكفير.

الأمر الآخر، أنّ تهمة التكفير قد أصبحت حتى في بعض حالات الحق، بابا للصد عن سبيل الله وقطع الطريق على الجهاد والمجاهدين، فالمصلحة تقتضي بعض الحيطة لديننا، فلا ننزلق في هذه المتاهة والله أعلم، مع ما تعلمون من خطورة هذا المنزلق لو أخطأ المرء فيه، ويكفي حديث رسول الله ﷺ: «**أَيُّمَا رَجُلٍ قالَ لأخِيهِ: يا كافِرُ، فقَدْ باءَ بها أحَدُهُما**»[1].

سابعًا: أنبه أخواني إلى أنّ «كتيبة علماء السلطان» هؤلاء ومصائبهم، لا تنتهي بموت بعض أركانها ورؤوسهم؛ فمدرسة بلعام بن باعوراء ما تزال تنجب أفذاذها، ولا أدل على ذلك من الجيل الخبيث، وقائمته الطويلة التي فرضها أولئك الرؤوس، والأمر لا يقتصر على الجزيرة، فالبوطي في الشام، وشيخ الأزهر في مصر، وعلماء الندوة الحسنية في المغرب، ومفتي الدولة في الجزائر، وشيوخ السوء في كل بلدان العرب والعجم وسواها، ما يزالون صرحًا عظيمًا، أما على صعيد الجزيرة فالطامة أعظم والهرم الخبيث هذا أكبر، فلئن ذهب ابن باز وابن عثيمين فما زال

---

[1] البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠).

السدلان، و**اللحيدان**، و**عبد المحسن بن تركي**، والمفتي **عبد العزيز آل الشيخ**، ووزير الأوقاف **صالح بن عبد العزيز آل الشيخ**[1].

والصراع ما يزال مريرًا وطويلًا، ولقد أصبحت بوادر انتصارنا في هذه المعركة واضحة جلية، وها هي رموز علماء السلطان من الكبار تتهاوى، وتتناولها الأقلام والألسن وتبين حقيقة أمرها، ولئن تمكن أهل الحق من كشف باطل وزيف أمثال أولئك الأساطين، والعظام من أمثال الراحلين إلى ما قدما، فمن دونهم من أذناب هذا القطار أهون، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾ [المنافقون: ٨].

---

[1] وصل أفغانستان صورة لفتوى وأمر من وزير الأوقاف صالح بن عبد العزيز آل الشيخ لأئمة المساجد جاء فيها: «تعميم عاجل جدًّا يسحب بالفاكس رقم ٢١١٧/١/١ تاريخ ١٤٢٠/٨/٥/يونيو ٢٠٠٠م.

فضيلة المدير العام لفرع الوزارة في منطقة... وفقه الله.

نسخة لفضيلة الوكيل المساعد لشؤون المساجد... وفقه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: فقد بلغنا قيام بعض أئمة المساجد بالقنوت للمسلمين في الشيشان وحيث أنّ هذا يتطلب إذن ولي الأمر، فاعتمدوا إبلاغ الأئمة بالامتناع عن ذلك، والرفع لنا عمن لا يلتزم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ.

ثامنًا: أنبه إلى ملحوظة مهمة؛ فقد دأب أتباع مدرسة تقديس الأحبار والرهبان، على وصف كل انتقاد لرموزهم أولئك بأنه «سب وشتم للعلماء»، فأقل ما يُتهم به أمثالنا ليقطعوا عليهم الطريق، قولهم: «يسبون ويشتمون العلماء»، ولخطورة هذه التهمة، التي أكلت عقول الكثيرين وصدتهم عن كثير من دعوة الخير، أنبه موضحًا إلى عدة نقاط:

١- على مَن ينهج منهج الصدع بالحق، وكشف أباطيل هؤلاء الأحبار والرهبان، ألا يقع تحت طائلة هذا الإرهاب ويرعب من هذه التهمة، فالنقد وكشف الحق وصولًا لإسقاط شرعية هؤلاء، ليس سبًّا ولا شتمًا، بل إنّ هذه التهمة كانت في رأس تهم قريش للصد عن سبيل محمد بن عبد الله ﷺ أنه «يشتم الآلهة»، «يسب الآباء»، «يسفه أحلامهم ويغري بهم سفهاءهم»، هكذا كانت بعض دعاوى قريش.

٢- إنّ القسوة في العبارة والتشنيع على هؤلاء الخونة «لله ورسوله وللمؤمنين»، لم يستسغها بعض خيار إخواننا لسبب جوهري في نظري، وهو أنهم لم يستشعروا أننا وهؤلاء العلماء، بل المسلمين وهؤلاء العملاء في حالة حرب[1]! نعم، حالة حرب، فعندما تكون الأمة بمجموعها في حالة نكبة بنزول الصليبيين في عقر دار الإسلام، وفي حالة استلاب لكعبة المسلمين ومسجد رسولهم ﷺ ومسراه

---

[1] حربهم بالحجة، وسيأتي بيان ذلك.

المقدس، ثم يخرج رؤوس علماء الإسلام ليسبغوا الشرعية على هذا الاحتلال الشنيع الفظيع، ويجعلوه نصرة لدين الله ولعباده المؤمنين!

وعندما يتحالف حكامنا المرتدون مع المحتل، ثم يقف هؤلاء العلماء العملاء الخونة، ليشهدوا شهادة الزور الموبقة على المرتدين بالإيمان، وعلى المحتلين من اليهود والنصارى بالأمان وعصمة الدم والمال!

وعندما يقف شيخ الأزهر ليؤمّ بالصلاة عساكر مصر والشام والسعودية، طليعة جيش الاحتلال في حرب الخليج، وعندما يفتي علماء الجزيرة وقضاتها بقتل وإعدام المجاهدين للأمريكان، وعندما تفتي «هيئة كبار العلماء» بالإجماع وعلى رأسها ابن باز وابن عثيمين، وفي ذيلها واحد وعشرون عالـمًا، هم كامل طاقم «هيئة كبار العلماء»، على أنّ جهاد الأمريكان، إرهاب يحرمه الله! ويجب على كل مسلم أن يخبر عنهم ويسأل الله أن يكشف سرهم ويفضح حالهم، وأنّ حكم المجاهدين للأمريكان إن قبض عليهم أن يُقتّلوا أو يُصلّبوا أو تُقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض. وآخر ذلك تبلغ الطامة أن يقولوا أنّ مجاهد الأمريكان لا يراح رائحة الجنة في الآخرة!

فنحن إذن في حالة حرب، لا شك أنّ مَن لا يبصرها قد طمس الله على بصيرته، وفي حالة الحرب يكون الطعن والضرب والقتل والقتال، والهجاء والصياح، فإذا استشعر الأخ أنه في حالة حرب مع عملاء السلاطين هؤلاء، البائعين لدين الله ولأمة الإسلام بمناصب تافهة ودراهم معدودة ووجاهة توبق

دنياهم وآخرتهم، هان عنده أن يجد بعض إخوانه ممن أخذتهم الحمية لدين الله ولدماء إخوانهم أن تنزلق منه كلمة نابية أو صيغة شديدة مقذعة.

ولماذا الكيل بمكيالين؟ لماذا لـمّا يخرج **مقبل الوادعي** في رسالة يرد فيها على **القرضاوي** فيعنونها بقوله: «الكاوي في إلجام الكلب العاوي يوسف القرضاوي» -هذا العنوان فما بالك بالمحتوى!- فلا نجد مَن يتهم الشيخ مقبل بفحش العبارة. ولـمّا يجعل ابن باز وابن عثيمين المجاهدين في سبيل الله في مرتبة كلاب أهل النار لا يراحون رائحة الجنة يُغفر لهم ذلك! ولا تُغفر كلمة نابية خرجت من مجاهد منافح عن دين الله حمية له، والله ما هذا بالنصف، ومع ذلك أقول:

٣- أنصح نفسي وإخواني رغم ذلك بضبط النفس وضبط العبارة، فإن لم يكن هؤلاء الخونة يستأهلون الأدب، فالأدب مع أنفسنا، ويبقى أصل الأمر هو قوله ﷺ: «**لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ**»[1]، وحتى لا تكون هذه العبارات -حتى مع التماس العذر لها في موقف ما- ذريعة لعباد الأحبار والرهبان، والمخاصمين عن الخونة، متكأ يردون فيه الحق الذي يدعو إليه مَن يواجه هؤلاء «البلاعيم»، فإنهم يتركون أصل الحق الذي ندعو إليه، وكل ما نؤمن به من قال الله وقال رسوله ﷺ ليقفوا على كلمة نابية أو زلة عابرة،

---

[1] الترمذي (١٩٧٧).

ويجعلوها وصفًا لكل ما نقول، وليحولوا بين الناس وبين الحق، ولقد دفعنا ثمن مثل هذا الكثير الكثير ولله الأمر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

تاسعًا: أنبه بعض إخواننا المجاهدين، ممن نحسبهم على خير ولا نزكيهم على الله تعالى، على أنّ المدافعة عن هؤلاء العلماء العملاء الخونة، والمخاصمة عنهم عمل غير مشروع، وقد نهى الله تعالى عنه وزجر فاعله وحذره، وفتح له باب التوبة والاستغفار من هذه الفعلة المحرمة، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١٠٥-١١٠].

وأنبه إخواننا المجاهدين الأفاضل هؤلاء إلى عدة أمور في هذا المقام:

١- أنّ شهادة أهل الخير من رؤوس الجهاد والدعوة والإصلاح في بلاد الجزيرة، كشهادة ابن لادن والفقيه وعلماء الصحوة ودعاتها، على علمائهم أعوان السلاطين (في بلادهم)، هي أساس في الواقع، وتعتبر أساسًا للحكم الشرعي

في المسألة، وقد بانت شهادتهم. وهي أصدق وأصح من شهادة من لم يكن من أهل تلك الديار.

٢- أنّ المخاصم عن هؤلاء العملاء وواصفهم بالخير، إن كان يجهل حالهم فشهادته باطلة ومردودة لكونها مبنية على جهالة بواقعهم، وقد بانت الآن، أما إن كانت على علم بحالهم، مما قد فصّلَتْ فيه مثل هذه الوثائق، فإنّ الشهادة بالخير عليهم والتدليس على المسلمين بها، ترقى لأن تكون شهادة زور، في أمر عظيم من أمور الدين ومصالح المسلمين، نعوذ ونعيذ إخواننا بالله من مثل هذه المنازل، مهما كانت الأسباب من دعوى الرأي والمصالح.

٣- أنه في الوقت الذي يمكن أن نفهم ونستوعب فيه دفاع «مدخلي» متعصب، عن أمثال هؤلاء العلماء، كونه متعصب أو متحزب أو منتفع أو منتم لتلك المدرسة الضالة، فإن من غير المفهوم، بل من المدهش المحير والمؤسف المحزن أن تجد مجاهدًا في سبيل الله، مُحَارَبًا من مثل هؤلاء العلماء، الذين حكموا عليه بالفساد في الأرض، وحرضوا الحكام على قتله، والأمة على محاربته، بل حرّموا عليه ريح الجنة أن تجده منافحًا عنهم، ملتمسًا لهم الأعذار، مدلسًا على المسلمين بأعذار لا تصح عقلًا ولا شرعًا! هنا تبلغ الحيرة مداها! فإن لم تسعف إخواننا هؤلاء المعرفة بمقتضيات شهادة الحق في دين الله، ألا تسعفهم الغيرة والحمية للحق وأهله -وهم منهم- فلا يُدخلوا على أهل الجهاد القهر بمديح مَن قتلهم ودعا لحربهم وحرم عليهم الجنة؟

٤- تبين -بالوثائق وشهادة أهل البلاد من أهل الجزيرة ورؤوسها- في صف مَن يعمل هؤلاء، وفي صالح مَن تصب فتاواهم! ومن لازم ذلك والبديهي أنّ موت أحدهم أو تعطله عن خدماته الجليلة لأعداء الله من الكفار -صليبيين ويهودًا وحكامًا مرتدين- هو خسارة لصف أعدائنا وثلمة في جدارهم هم، وليس خسارة لنا نحن، أو قبضًا للعلم وثلمة في الإسلام. فما كان لهم من فضل علم عام، فهو موجود فيهم وفي غيرهم وفيما حفظت المكتبات، وليس خسارة لا تعوض للإسلام، **في حين أنّ ذهابهم هو انهدام ركن وركيزة طالما خدمت «البنتاغون»، وحملات شوارزكوف، وتطبيع السلام مع بيغن ورابين، وطالما ثبّتت عروش الظالمين وأسبلت عليهم صفات التوحيد**؛ فذهابهم -ألحق الله بهم أمثالهم- هو خسارة لأعدائنا وليس قبضًا للعلم والخير، وما سمعت أحدًا تأسف على ما ذهب من العلم والفضل بموت أحمد بن أبي دؤاد! وقد ذكرت كتب الرجال أنه كان ذا علم وفضل، بل عدّوا هلاكه عقوبة من الله له ولأصحابه، وفرجا على المسلمين. وما أعتقد أنّ شره كان على أهل الحق، أشد من شر مَن وقف مع الاحتلال الصليبي والردة واليهود، وأفتى بقتل أهل الإسلام والجهاد! فإني أُعلنها مدعّمةً بالأدلة من الكتاب والسنة وفقه الواقع والله المستعان، بأنّ شر ابن باز وابن عثيمين وأمثالهم وأذيالهم، على أمة الإسلام اليوم

أكبر بكثير من شر ابن أبي دؤاد على الأمة في زمانه، ولا سيما أنه كان لذاك الأحمد أحمد، وما لنا مع هؤلاء أمثاله رحمهم الله.

٥- أخيرًا في هذا المقام، أقول إنّ الاعتراف بالخطأ فضيلة، والرجوع عنه عِزٌّ ورفعة في الدنيا والآخرة، وآمل ممن زل في مثل هذه المنازل، ونافح عن هؤلاء المجرمين أن يعتذر عن رأيه ويرجع عنه، السر بالسر، والعلن بالعلن، والمشافهة بمثلها، والبيان والإعلان بما يكافئه، هذا إن اقتنع بأنّ موقفه ذلك كان زلة عالم وهي مما يهدم الدين، ولكل جواد كبوة، والفالح مَن كتب الله له أوبة.

عاشرًا: أنبه وألفت النظر إلى الملحوظة الأخيرة البالغة الأهمية: كما قال العلماء ولخص ذلك الإمام ابن تيمية رحمه الله في كتاب «الجهاد» من «الفتاوى»، فإنّ الجهاد جهادان، جهاد السنان للكفار والمرتدين، وجهاد البيان للمبتدعة والمنافقين، فأنبه إلى أنّ من أعظم الخطر والخطأ الخلط في طبيعة وكيفية جهاد هؤلاء الأعداء. ففي حين أنّ من الخطأ والسفه وقلة العقل، أن يفكر المرء أن يجاهد اليهود والصليبيين والمرتدين بالحجة البينة والسياسة، بعدما أعملوا فينا السيف والسوط والرشاش وكل أنواع العذاب، وبعد أن أمر الله بقتالهم، وجعل العلماء دفع صائلهم أوجب الواجبات بعد التوحيد، فإنّ من الخطأ والزلل كذلك الظن بأنّ جهاد مبتدعة هذا الزمان ومنحرفيهم من المسلمين، وبعض دعاتهم التائهين عن دعوة الحق والجهاد، وكذلك علماء السلاطين الذين وصفنا حالهم هو بالسنان والسلاح.

فسلاح أولئك الرشاش ودواؤهم مثله، وسلاح هؤلاء الحجة والبينة وقال الله وقال الرسول، وجدالهم بالكتاب نفاقًا، ودواؤهم من جنسه: الحجة والبينة، وقال الله وقال الرسول ﷺ وقال الصحب ﷺ وقال السلف ﷭ بالحق وليس بالسلاح والقتال، فإنّ مفسدة ذلك لا تخفى، واستفادة العدو الصائل منه واضحة، بل إنّ من خططهم جعل المعركة عسكريًّا، داخلية بين الشباب المجاهدين ومَن فسد من علمائهم، ومَن انحرف من دعاتهم ومَن فسق من عامتهم، فنتنبه إلى هذا.

كما أنّ من بالغ الخطأ أن يقول قائل: ليس من المصلحة جهاد هؤلاء العلماء العملاء بالبينة، وأنّ ذلك مما يفرق الأمة. وأنّ علينا حشد الأمة على جهاد الصائل الخارجي بالسلاح وبالحجة، وعدم فتح معارك جانبية، فإنّ قائل هذا الكلام لم يدرك بعد أبعاد المعركة وجذورها وللأسف.

فكما أسلفنا: إذا كانت معركة السلاح تلك لحسم الخلاف بين الحق والباطل في ساحات الوغى، فإنّ معركة الشرعية هذه مقدمة ولازمة لها لحشد أهل الحق في صفهم، وعزل أهل الباطل تحت رايتهم ليهلك مَن هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٥٥﴾ [الأنعام: ٥٥].

*****

وفي مسك الختام نقول:

نوصي أنفسنا، ومَن وقف منافحًا بقلمه ولسانه وبيانه عن دين الله وأهل الجهاد، في معركة الحجة وجهاد البينة ، ونثبت أنفسنا وإياهم بما ثبت الله به عباده الصالحين في كتابه وسنة حبيبه المصطفى ﷺ، فقد قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب: ٣٩]، أفلا يستأهل اللحاق بأصحاب هذه القائمة، ما يلقي المنتسب إليها من عنت وعناء، والله إنه لشرف تهون دونه المشاق، وكفى بالله حسيبًا، والنِعم بالله ناصرًا ومعينًا، ويقول عليه الصلاة والسلام: «**أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ رَهْبَةُ النَّاسِ، أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا رَآهُ أَوْ شَهِدَهُ، فَإِنَّهُ لَا يُقَرِّبُ مِنْ أَجَلٍ، وَلَا يُبَاعِدُ مِنْ رِزْقٍ، أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ أَوْ يُذَكِّرَ بِعَظِيمٍ**». أفلا تستأهل الاستجابة لرسول الله ﷺ، والوقوف في مثل هذه المنازل، ما يمكن أن يلقي المرء من السفهاء وأعداء الحق وبعض الطيبين، وقد لقيَ أشرف الخلق عليه الصلاة والسلام من مثل هذا أضعافًا، أما قال ﷺ: «**لا تَزالُ طائِفَةٌ مِن أُمَّتي ظاهِرِينَ على الحَقِّ، لا يَضُرُّهُمْ مَن خَذَلَهُمْ، حتَّى يَأْتِيَ أمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذلكَ**»[1]؟

أليس حريًّا بالمرء وقد عزم على أن ينتميَ لهذه الطائفة المباركة، أن يعلم أنّ دونه في الموقف أرتال المخالفين والمخذلين؟

---

[1] مسلم (١٩٢٠).

أما قال ﷺ: «**بَدَأَ الإسْلامُ غرِيبًا، وَسَيَعُودُ كما بَدَأَ غرِيبًا، فَطُوبى لِلْغُرَباءِ**»[1]؟

أما وصفهم ﷺ بأنهم «**الَّذينَ يَصلُحونَ إذا فَسَدَ النَّاسُ**»[2]؟

فما يكون حال القابض على درب الهجرة والجهاد والصدع بالحق والجهاد عليه؟

أليس حريًّا بمن أنزل نفسه منازل الغرباء –نسأل الله الإخلاص والقبول– أن يُعدّ نفسه لتحمل عدوان الظالمين، وجهالة الجاهلين، وخذلان الطيبين، والغربة بين المؤمنين فضلا عن الضلال والمخالفين؟

*****

نُذكّر إخواننا الطيبين، ولا سيما الدعاة وطلاب العلم، ونخص المهاجرين المجاهدين، ممن ألفوا احترام أولئك العلماء واعتادوا تقديسهم وصعب عليهم الحكم عليهم بميزان الحق، فكرهوا الميزان لـمّا حكم على رجالهم المحترمين لديهم، بما لم تطب به نفوسهم ولم تتعوده طباعهم: نذكرهم بأن يراجعوا أنفسهم ويفتحوا أسماعهم وعقولهم وأفهامهم التي وهبهم الله إياها وهو سائلهم عنها. نذكرهم ونحذرهم بحال أقوام عطّلوا نعمة الله بما وهبهم من العقل والسمع والفهم فكان

---

(١) مسلم (١٤٥).

(٢) الترمذي (٢٦٢٩).

عاقبتهم النار، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩]، ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ [الملك: ١٠-١١].

فنعيذكم وأنفسنا بالله من صفات وأحوال ومآل مَن هذا حالهم!

فيا أحبابنا، عشرات السنين وأنتم تقتاتون على تلك المقدسات، وترضعون قداستها ورفعتها وهداها، ثم صبّحكم حال رأيتم بأعينكم وسمعتم بآذانكم ما دلكم على خطأ ما كنتم تعتقدون، أفتتبعون الهوى أم العقل والفقه والإيمان!

ها هي الفتاوى أمامكم تملأ الجرائد والتلفازات والراديوهات والمحاضرات والكتب والمجلات، سُرّ بها العدو، ونُكب بها الصديق(*)، ورجفت لها قلوب المؤمنين، ودمعت لها أعينهم وبكت قلوبهم دمًا.. فعلام المكابرة ؟ وإلى متى اتباع أذناب الباطل؟

تسمعون كلام الله تعالى يُتلى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة: ١٥٩]، ويسألكم سائل: «هل كتموا؟» تقولون: «نعم..»، «هل زادوا على الكتمان

(*) انظر: «الفتاوى المؤيدة لأميركا» [النازعات].

بتبديل الحق وطمسه؟» تقولون: «نعم..»، إذن أليسوا من قائمة مَن لعن الله واللاعنون؟ تقولون: «لا..»! لمَ؟ لمَ تلبسون الحق بالباطل وأنتم تعلمون؟

وتسمعون رسول الله ﷺ يقول: «**وَمَنْ أَتى أبوابَ السُّلْطانِ افْتُتِنَ، وما ازْدادَ عَبْدٌ مِنَ السُّلْطانِ قُرْبًا إلّا ازْدادَ مِنَ اللهِ بُعْدًا**»[1]، وتسمعون صحابة رسول الله ﷺ يحذرون كما قال حذيفة رضي الله عنه: «إذا رأيتم العالم بباب السلطان فاتهموا دينه فإنهم لا يأخذون من دنياهم شيئًا إلا أخذوا من دينهم ضعفيه».. ثم نسألكم ويسألكم الناس هل جاء أحباركم هؤلاء أبواب السلاطين؟» فتقولون «نعم»، «هل تنصّبوا عندهم في مختلف المناصب؟» فتقولون: «نعم»، هل اقتربوا منهم؟ فتقولون: «نعم»، «فهل ابتعدوا عن الله ومنهجه؟ لمَ لا تتهمون دينهم وتخشونهم على دينكم؟» فلا مجيب!

لمَ إذن وهذه أمامكم أقوال الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والإمام ابن تيمية والأئمة الأربعة، وسفيان، والأوزاعي، والإمام الغزالي، والسلف والخلف، والعلماء كلهم، لمَ تُنزلونها في علماء الشام والعراق ومصر والباكستان.. والكامرون، ولا تنزلونها على هؤلاء؟ وهم أحق بها وأهلها، والمصيبة فيهم أفدح!

---

[1] أحمد (٨٨٣٦).

فالأمر واضح: هو أمر هوى، أو خشية حق، أو كيل بمكيالين، أو دخول في أسر أجهزة الإعلام، أو حالة نفسية خارجة عن قضايا العلم والفهم والدين والمنطق.

فالأمر ليس بهين: مقدسات دين، ومصير أمة، وثروات شعوب، ودماء مجاهدين، وأعراض دعاة ومصلحين. هي بالمختصر: قضية دين رب العالمين، أفلا تبصرون؟

ألا عودة لدين الله وسنة نبيه ﷺ هدي سلف هذه الأمة الصالح، فقد وضح الصبح لذي عينين!

ونعود لتذكير علماء الصحوة وطلاب العلم، ورؤوس الإصلاح وخصوصًا قادة الجهاد، وخاصة حيث قام الحشد والجمع هنا في أفغانستان وأمثالها:

فوالله إنّ الأمانة في أعناقكم خطيرة، وأنتم المؤتمنون على هؤلاء الشباب الطيبين، وأنتم تعلمون أنّ شر هؤلاء العلماء العملاء ليس أمرًا فرعيًّا، وأنه مرتبط ارتباطًا مباشرًا بمسألة دفع هذا الصائل، صائل اليهود والصليبيين والمرتدين. وتعلمون أنّ أيدي هذه الأمة قد غُلّت، وأيدي شبابها المجاهد قد كُفّت عن جهادهم، وراحوا يهيمون على وجوههم يبحثون عن الجهاد في كل أقطار الأرض، وهو عليهم وفي عقر دارهم وعقر دار الإسلام متعين، وفي رقابهم متعلق؛ وما ذلك إلا لِما طمس أولئك العملاء من الحق، وألبسوه بالباطل!

فإنّ شرعية احتلال الصليبين للجزيرة وتطبيع اليهود وسلامهم لاحتلال الأقصى، قد جاءت من شرعية أولئك الحكام الذين استمدوا شرعيتهم من شرعية علمائهم، الذين لبّسوا على الناس دينهم وحرّموا عليهم الجهاد، وجعلوا عقابهم عليه عقاب المفسدين في الأرض في الدنيا، بل حرّموا على فاعله رائحة الجنة. فأنى للشباب أن يجاهد!

وفعلًا، فكما قلنا دائمًا، وكما أورد الشيخ أسامة في بيانه، فإنّ جهاد هؤلاء العلماء بالبينة والحجة، وردِّ باطلهم يأتي في طليعة أعمال الدفاع عن دين الله وقد مر الشاهد.

فيا أيها الدعاة ويا علماء الصحوة ويا قادة الجهاد، إنّ الشباب ما يزال في حيرة من هذه المسألة ينظر إليكم، ينتظر منكم الإجابة والبيان فانظروا ماذا أنتم فاعلون، وبأي عمل وموقف على ربكم مقبلون، فإن المسألة لا تحتمل الإبهام، ولا اللف والدوران، ولا التلميح والكناية، والله المستعان وهو صاحب الفضل يؤتيه مَن يشاء.



وما تزال المواجهة مستمرة القصة تعيد نفسها؛ فقد نزل قوله تعالى في اليهود والنصارى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ

عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ [التوبة: ٣١]، فلمّا قدم عدي بن حاتم الطائي، وكان قد تنصّر، على رسول ﷺ قال: «فَقُلْتُ إِنَّهُمْ لَمْ يَعبُدوهُمْ»، فقال رسول الله ﷺ: **«بَلَى، إِنَّهم حَرَّموا عَلَيْهِم الحلالَ وَأحلُّوا لَهُمُ الحَرَامَ فاتَّبَعُوهُمْ فَذَلِكَ عِبادَتُهم إِيَّاهُمْ»**[1]. قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال حذيفة بن اليمان وابن عباس وغيرهما في قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَـٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، إنهم اتبعوهم فيما أحلوا وحرموا»، وقال السدي: «استنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ﴾ [التوبة: ٣١]»[2].

فهل زاد فحوى ما قلناه لإخواننا في علمائهم وأحبارهم على هذا؟

قلنا: يا قوم، اتخذتم من علمائكم ومشايخكم -عمليًّا من حيث لا تدرون- أربابًا من دون الله؛ لقد حللوا لملككم لبس الصليب، وأفتوا باحتلال الكعبة ومسجد الرسول ﷺ، وسوغوا نهب ثروات المسلمين، وأجازوا بيع فلسطين لليهود بفتوى التطبيع والسلام، وجعلوا التحاكم للأمم المتحدة حلالًا، وحللوا طاعة المرتدين الكفرة، وشهدوا عليهم بالإسلام، وجعلوهم أولياء أمور شرعيين، وبالمقابل فقد حرّموا بغضهم وإيغار الصدور عليهم، وجعلوا منابذتهم رغم الكفر

---

[1] الترمذي (٣٠٩٥)، والبيهقي: (٢٠٨٤٧).

[2] تفسير القرآن العظيم (٤/٢٧٦).

حرامًا، ثم حرموا جهاد الأمريكان، بل حرّموا على مَن جاهدهم رائحة الجنة، ثم أفتوا بقتله، وبهذا قُتل المجاهدون وأودعوا السجون.. إلى آخر ما حللوا وحرموا.

ولا نملك إلا أن نسأل الله ﷻ بأن يبصّر إخواننا جميعًا، من طلاب العلم، والمهاجرين والمرابطين والمجاهدين في سبيل الله بالحق، وأن يرزقنا اتباعه ويحببنا فيه.

ونسألك اللهم أن تجعلنا في قائمة أقوام قلتَ فيهم ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٤٧ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٤٨﴾ [آل عمران: ١٤٦-١٤٨].

وصلِّ اللهم وسلم وبارك وأنعم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أفغانستان - كابل

ذو القعدة ١٤٢١هـ

٣١ يناير ٢٠٠١م